مِنْ أَمْجَادِ الْجَزَائِرِ

(1962 - 1830)

سِلْسِلَة تَارِيخِيَّة ثَقَافِيَّة تَصْدُرُ عَنْ وَزَارَة الْمُجَاهِدِينَ

الشَّهِيد

عَبْدُ الْعَالِي بْنُ بَعْطُوشْ "عَلاَّوَة"

1959 - 1929

مَنْشُورَاتُ الْمَتْحَفِ الْوَطَنِيِّ لِلْمُجَاهِد

الشهيد

عبد العالي بن بعطوش "علاوة"

1959 - 1929

تصدير

تصدرُ هذهِ السلسلة التاريخيّة المُخصّصة للشهداء الرموز الذين يزخرُ بهم تاريخُ المقاومة والثورة التحريريّة، لتُنير أمام الأجيال ولاسيّما الشباب معالم درب النضال والجهاد الذي شقّهُ ملايينُ الشهداء الأبرار بدمائهم الزكيّة، وعبّدوهُ بأجسادهم الطاهرة ليكونَ معبراً للجزائر ولشعبها إلى الحريّة والاستقلال.

تُعدُّ هذهِ السلسلةُ مُساهمةً من وزارة المُجاهدين في بناء الذاكرة الجماعيّة وإثرائها، تعزيزاً للجهود التي ما فتئت الدولة الجزائريّة تبذلُها من أجل الحفاظ على الهويّة الوطنيّة، ودعم تواصل الأجيال وتلاحمها.

أرجو أن يجدَ الشبابُ الجزائريّ في هذهِ السلسلة ما يُروي عطشهُ لمعرفة تاريخ بلادهِ وتضحيات شعبهِ خلال المقاومة والثورة التحريريّة التي تُعتبرُ مرحلةً هامّةً في تاريخهِ المجيد.

محمد الشريف عباس

وزير المجاهدين

حقوق التأليف والنشر محفوظة للمتحف الوطني للمجاهد 2010
ر . د . م . ك : 978-9961-884-73-7
الإيداع القانوني : 2010-4124

المتحف الوطني للمجاهد

BP 168 EL - MADANIA - ALGER
TÉL : 00.213.021.66. 92.08-65.45.06
FAX:00.213.021.66.91.54

ص .ب 168 – المدنية – الجزائر
الهاتف : 00.213.021 . 66. 92. 08 - 65 . 45. 06
الفاكس : 00.213.021 . 66 . 91 . 54

Email: mnm@museenat-moudjahid.dz :البريد الإلكتروني

تَلَقَّتْ إِحْدَى الْجَمْعِيَّاتِ الثَّقَافِيَّةِ التِي كَانَتْ تَنْشَطُ بِالْمَرْكَزِ الثَّقَافِيِّ لِولاَيَةِ جِيجَل، دَعْوَةً لِلْمُشَارَكَةِ في أُسْبُوعٍ ثَقَافِيٍّ نُظِّمَ بِولاَيَةِ بَاتْنَة؛ فَاسْتَدْعَى رَئِيسُ الْجَمْعِيَّةِ جَمِيعَ الأَعْضَاء لِيُطْلِعَهُم عَلَى الدَّعْوَةِ؛ فَلَمَّا قَرَأَهَا عَلَى مَسَامِعِهِمْ فَرِحُوا كَثِيراً، وَسَأَلُوهُ عَنِ الْمَوْضُوعِ الذي تُشَارِكُ بِهِ الْجَمْعِيَّةُ، فَقَال: ما يزَال لَدَيْنَا مُتّسَعٌ مِنَ الْوَقْتِ؛ أَمْنَحُكُم أُسْبُوعاً كَامِلاً لِلتَّشَاوُرِ وَالتَّفْكِيرِ فِي الْمَوْضُوعِ.

وَفي إِحْدَى الجَلَسَاتِ التَّشَاوُرِيَّةِ قَالَ أَحَدُ الأَعْضَاءِ: مَا رَأْيُكُمْ في اخْتِيَارِ شَخْصِيّةٍ تَارِيخِيّةٍ تَكُونُ مَوْضُوعاً لِمُشَارَكَتِنا في الأسْبوعِ الثّقافِيّ؟

قال رَئيسُ الْجَمْعِيّة: مَنْ هُو الشَّخْصُ الذي وَقَعَ اخْتِيَارُكَ عَلَيْه؟

العُضو المتكلّم: هو شَخْصِيّةٌ تَارِيخِيّةٌ وُلِدَتْ في الْولاَيَةِ الّتي يُنَظَّمُ فِيهاَ الْأُسْبُوعُ الثَّقَافِيّ.

ردّ عليه رَئيسُ الْجَمْعِية: سُكّانُها أَعْلَمُ بِهِ مِنّا.

فَقَال العُضْو: إِنَّهُ غَادَرَهَا بعد نَجاحه في شهادةِ البكالوريا إِلَى العاصمة، وَبَعْدَ إِضْرَابِ الطَّلَبَةِ في 19 مَايو 1956 الْتَحَقَ بالثّوْرَة بالْولاية الثانية (الشَّمال القَسَنْطِيني)، واسْتُشْهِدَ على الحدودِ بين الجزائِر وَتُونِس.

لّمّا اتّفَقَ جَميعُ الْأعْضَاءِ عَلى الْمَوْضوع الّذِي اقْتَرَحَهُ زَمِيلُهُمْ، قَالَ رَئيسُ الْجَمْعيَّة: أُرِيدُ مِنْكُمْ أنْ تَجْمَعُوا مَعْلومَاتٍ وَافيَةً عَنْ هَذِه الشّخْصِيّةِ قَبْلَ الْمَوْعِدِ الْقادِم.

وَفي الْجَلْسَةِ الْمُوالِيَةِ اسْتَمَعَ الرَّئِيسُ إِلَى مَا قَدَّمَهُ أَعْضَاءُ الْجَمْعِيَّةِ مِنْ مَعْلومَات، وفي آخِرِ الْجَلْسَةِ قَالَ: أُرِيدُكُمْ أَنْ تُظْهِرُوا مَوَاهِبَكُمْ في إِنْتاجِ عَمَلٍ فَنِّيّ، تَحْصُلُونَ بِهِ عَلَى جَائِزَةٍ مُعْتَبَرَةٍ مِنَ الْجَوائِزِ الّتِي سَتُسَلّمُ لِلْفِرَقِ الْمُشارِكَة.

انْكَبَّ الْجَميعُ عَلَى الْعَمَلِ فِي جَوٍّ مِنَ التَّشَاوُرِ وَالتَّنْسيقِ. وَقَبْلَ مَوْعِدِ الذَّهَابِ إِلَى مدينة بَاتْنَةَ كَانَ الْعَمَلُ جَاهِزًا، فَسَلَّمَ رَئِيسُ الْجَمْعِيَّةِ نُسْخَةً مِنْهُ إِلَى مُديرِ الثَّقافَةِ بِوِلاَيَةِ جيجَل، فَنالَ رِضَاهُ، وَأَدْرَجَهُ فِي بَرْنَامَجِ الْأُسْبُوعِ الثَّقَافِيّ.

رَافَقَ أَعْضَاءُ الجَمْعِيَّةِ الْوَفْدَ الَّذِي قَصَدَ مَدِينَةَ بَاتْنَةَ، حَيْثُ اسْتُقْبِلَ بِحَفاوَةٍ كَبِيرَة.

وقَبْلَ عَرْضِ نَشاطِ الْجَمْعِيَّةِ بِيَوْمٍ واحِدٍ زَارَ أَعْضَاؤُها بَلَدِيَّةَ «سَقّانَةَ» مَسْقَطِ رَأْسِ الشّخْصِيّةِ الّتي اخْتَارُوها مَوْضُوعًا لِنَشَاطِهِمْ، وَتَوَجَّهوا مُباشَرَةً

إِلَى مَقْبَرَةِ الشُّهَداءِ لِلتَّرَحُّمِ عَلى أَرْواحِهِمُ الطَّاهِرَةِ، ثُمَّ زَاروا أَسْرَتَهُ، وَقَدَّموا لَها هَدِيَّةً رَمْزِيَّةً؛ وَقَبْلَ عَوْدَتِهِمْ إِلى الْفُنْدُقِ سَلَّمُوا أُسْرَتَهُ دَعَوَاتِ لِحُضُورِ العَرْضِ الذي سَيُقَدِّمونَهُ في الْمَسْرَحِ الْجِهَوِيِّ بِباتْنَة.

فِي اليوم الْمُحدّدِ لِلْعَرْضِ غَصَّ الْمَسْرَحُ بالْجُمْهُورِ الذِي قَدِمَ مِنْ مَدينَةِ باتْنَةَ وَضَوَاحِيها.

أُشْعِلَت الْأَنْوارُ وأُزيحَ السّتَارُ، فَتقدَّمَتْ فَتاةٌ مِنْ أَعْضاءِ الْجَمْعِيَّةِ، اسْمُهَا «نورَة»، إِلَى مِنَصّةٍ صَغيرةٍ، وُضِعَتْ عَلى جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ الرُّكْحِ، وَقَالَتْ: بَعْدَ قَليلٍ تُرَفْرِفُ رُوحُ شهيدٍ حَوْلَكُمْ. وَما هِيَ إلاّ لَحَظَاتٌ حَتَّى ظَهَرَ شَابٌّ طَويلُ الْقَامَةِ قَوِيُّ الْبِنْيَةِ، تَعْلُو تَقَاسِيمَ وَجْهِهِ ابْتسامَةٌ، وَتَبْدو عَلَيْهِ علاماتُ الْهُدُوءِ والْوَقَارِ والرَّزَانَةِ. فَحَيَّى الْجُمْهورَ بِتَحِيَّةِ مُمَثِّلِي الْمَسْرَحِ، فَرَدُّوا عَلَى تَحِيَّتِهِ بِتَصْفِيقٍ

وَهُتاف؛ بَعْضُهُمْ قَالَ: رَحِمَ اللهُ الشُّهَدَاءَ، وبَعْضُهم قال: الْمَجْدُ والْخُلُودُ لِلشُّهَدَاءِ، والبْعَضُ قالَ: تَحْيا الْجَزَائِر.

كان الشّابُّ الذي ظهرَ أمام الجمهورِ يُشْبِه كثيرا الشّهيدَ عبد العالي بن بعطوش في جسدِه وفي هيئَتِه. لَقَدِ اطّلَعَ عَلَى أَوْصَافِه الّتي تَحَدَّث عَنْها الْعارِفُونَ بِهِ، وحاولَ تقْليدَها بِبَراعةٍ.

نطقَ الشّابّ قائلا: الاِسْـمُ عَبْدُ العالي، وَاللَّقَبُ بنْ بَعْطوُش، وَلَكِنْ عُرِفَ أثْناءَ الثَّوْرَةِ باسْم (عَلاّوَةَ). وُلِد فِي 16 ديسَمْبَرْ 1929 بِسَقَّانَةَ الْقَرِيبَةِ مِنْ مَدِينَةِ باتْنَةَ، مِنْ أب يُسَمَّى «لَحْسَن» وأمّ تُسَمّى خَدُّوجَةَ بِنْت سَلاَمَةَ. أُسْرَته تَتَكَوَّنُ مِنْ عشَرَةِ أوْلادٍ، بَعْضُهُمْ ذُكُورٌ وبَعْضُهُمْ إنَاثٌ، كَانَتْ تَعْتَمِدُ عَلَى النَّشَاطِ الْفِلاَحِيّ بِالطُّرقِ التَّقْلِيدِيَّةِ، وَعَلَى تَرْبِيَّةِ الْحَيَوَانَات.

بَدَأ رِحْلَتَه الدِّرَاسِيّـةَ مِنَ الْمَدْرَسَـةِ الْقُرْآنِيـةِ بِمَسْقَطِ رَأْسِه، وَمِنْهاَ انْتَقَل إِلَى الْمَدْرَسَةِ الابْتِدَائِيَّة، فَلَمْ يَنْقَطِعْ عَنِ الدِّرَاسَةِ حَتّى حَصَلَ عَلى شَهَادَةِ اللّيسَانْس فِي الْعُلومِ الْقَانُونِيّـةِ بِكُلّيَةِ الْحُقـوقِ بِالْجَزَائِر.

تَلَقّى التَّعْلِيمَ الابْتِدائِيَّ وَالْمُتَوَسّطَ (التّكْمِيلِيّ) بِباتْنَةَ، وَلَمّا حَصَلَ عَلَى شَهَادَةِ التَّعْلِيم الْمُتَوَسّطِ عَامَ 1946، انْتَقَل إِلى الثَّانَوِيّةِ الْعَصْرِيَّةِ بِمَدِينَةِ قَسَنْطِينَةَ، وَمِنْها انتقل إِلىَ ثَانَوِيَّةِ (أومال) بِنَفْسِ الْمَدِينَة.

وَلَمّا حَصَلَ عَلى شَهادَةِ الْبَكَالُورْيَا بِجُزْأَيْها: الْأَوّلِ عام 1948 والثَّانِي عام 1949، اخْتَار فَرْعَ الطّبّ بِجَامِعَةِ الْجَزَائِر، وَلَكِنّه تَحَـوَّل إِلى كُلّيَـةِ الْحُقُوق، نَتِيجَةَ تعرُّضـه لصُعُـوبَاتٍ وَعَرَاقِيلَ فِي كُلّيَّةِ الطِّبّ.

لمّا توقّف الشّابُّ عن الكلام أُسْدِلَ السِّتار، وبعد زمنٍ يسيرٍ أُزِيحَ مَرّةً أُخْرَى، فعَادَتْ نُورَةُ إلى الْمِنَصَّةِ لتواصلَ حديثَها، فقالت: كَانَ عَبدُ العالي بنْ بَعْطوش عُضْوًا فِي الاِتّحادِ الْعَامّ لِلطَّلَبَةِ الْمُسْلِمينَ الْجَزَائِرِيّينَ الّذي ظَهَرَ عام 1955، والذي كَانَ أعْضَاؤُهُ عَلَى اتّصَالٍ بِجَبْهَةِ التَّحْرِيرِ الْوَطَنِّي الّتي قَادَتِ الثَّوْرَةَ؛ كَانُوا يُسَاهِمُونَ فِي الثَّوْرَةِ بِتَوْزِيعِ النّشَرَاتِ الّتي كانت تُصْدِرُها جَبْهَةُ التّحْرِيرِ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى جَمْعِ الْأَمْوَالِ لِفَائِدَةِ الثَّوْرَةِ. وَأَهَمُّ دَوْرٍ كَانوا يَقُومُونَ بِهِ هُوَ رَبْطُ الاِتّصَالِ بِتَلاَمِيذِ التَّعْلِيمِ الثَّانَوِيَّ وَالْمُتَوَسِّطِ (التكميلي).

ما كَادَتْ نُورَةُ تُنْهِي الْجُمْلَةَ الأخيرَةَ حَتَّى سُمِعُ صَوْتٌ كَدَوِيّ الرَّصَاصِ، رافَقَهُ صَوْتُ نَشِيدِ «مِنْ جِبالِنَا طَلَعَ صْوتُ الأحْرَارِ»، فعَادَ الشَّابُّ الّذِي غَادَرَ الْمِنَصَّةَ وَهُوَ يَرْتَدِي البَدْلَةَ

العسكريّةَ، ويَحْملُ بُنْدُقيَّةً فَقُوبلَ بتَصْفيقٍ حَارّ. وَلَمّا تَوَقَّفَ الْمُتَفرّجُونَ عَنِ التّصْفيقِ قَالَ الشّابُّ بِصَوْتٍ قَوِيّ عَلَى غَيْرِ مَا تَحَدّثَ بِهِ مِنْ قَبْلُ: لَمْ تَكُنِ السُّلُطَاتُ الاسْتِعْمَارِيّةُ تَعْلَمُ أَنّنَا كُنَّا رَهْنَ إِشَارَةِ جَبْهَةِ التَّحْرِيرِ الْوَطَنِيّ؛ وَبِإِشَارَةٍ مِنْهَا قُمْنَا بِالإِضْـــرَابِ، وَانْقَطَعْنَا عَنِ الدّرَاسَةِ لِنَلتحِقَ بِالثَّوْرَة. كَانَ الْتِحَاقُنا رَمْزًا لِلْقَطيعَةِ مَعَ رَغَدِ الْعَيْشِ، لأن ثِقَتَنَا في الثُّوار كَانَتْ كَبيرَةً، رَغْمَ الأَوْصافِ الْقَبيحَةِ الَّتي كَانَتْ فِرَنْسا تَنْعتُهُمْ بِهَا: (الْفَلاَّقَة، الْخارِجونَ عَنِ الْقَانُون، الْمُجْرِمون)، أمّا نَحْنُ فَكُنّا نَعْتَبِرُهُمْ حَامِلي لِواءِ الشَّرَفِ وَالْحُرّيّةِ. توقّف قَليلاً، ثم وَاصَلَ قوله: مَا فَائِدَةُ الْحُصُولِ عَلَى شَهَادات عِلْميّةٍ، والْجَزَائِريُّونَ يُعَانُونَ، وَالأُمَّهاتُ وَالأَخَوَاتُ وَالزّوْجَاتُ يُعْتَدَى عَلَى شَرَفِهِنّ، وَالأَطْفَالُ والشُّيوخُ والْعَجَزَةُ يُقْصَفُونَ

بالأسْلِحَةِ الْمُحَرَّمَةِ دَوْلِيّاً (النّابالم)؟ وَمَا طَعْمُ الْعِلْمِ عَلَى طَاوِلاتِ الدِّرَاسَةِ في وَطَنٍ يَسْبَحُ في الدِّمَاءِ وَشَعْبُهُ مَحْرومٌ مِنْ أَبْسَطِ الْحُقُوقِ؟

ثُمَّ غَادَرَ الرُّكْحَ، فخَيَّمَ الصّمْتُ عَلَى جَنَبَاتِ الْمَسْرَحِ، وَعَادَتْ نورَةُ إلى مُواصَلَةِ الحديثِ عنِ الشّهيدِ فَقَالَتْ: بعْدَمَا اشتدَّ لَهيبُ الثَّوْرَةِ، وتَحَوّلَتْ إلى حَدثٍ كَبيرٍ، تَرَدّدَ صَداهُ داخِلَ الْجَزائِرِ وَخَارِجَها، وَعُرِضَتِ الْقَضيَّةُ الْجَزَائِرِيَّةُ في مُؤْتَمَرٍ دَوْلِيٍّ، انْعَقَدَ فِي مَدِينَةِ «بَانْدُونْغْ» بِإِنْدُونِيسْيَا فِي أَفْرِيل عام 1955، سَارَعَ الطَّلَبَةُ إِلَى مُؤازَرَةِ الثَّوْرَةِ، ومن بينهم عَبْدُ الْعالِي الّذي الْتَحَقَ بِالثَّوْرَةِ فِي الشّمَالِ الْقَسَنْطِينِيّ (المنطقة التاريخية الثانية).

توقّفتْ نورةُ عنِ الحديثِ، فسُمِعَ صوتٌ يُشْبهُ حَرَكَةَ القِطَارِ، وبدَأَ يَرْتَفِع تَدْريجيًّا، فَالْتَفَتَتْ إلى الْمُتَفَرّجِينَ، وَقَالَتْ: لا تَنْزَعِجُوا، وَلا تَبْرَحُوا أَمَاكِنَكُمْ،

إنّ هذا الصّوتَ يذكّرنا بِصَوْتِ الْقِطَارِ، الّذِي حَمَلَ عَبْدَ العالي بَنْ بَعْطُوش إلى مدينَةِ قسنطينة، وَبَعْدَ وصولِهِ وَجَد في اسْتِقْبَالِهِ أحدَ الْمُسَبِّلِينَ الذي نَقَلَهُ إلى جَبَلِ الْوَحْشِ الْوَاقِعِ فِي الشَّمَالِ الشَّرْقِيّ لِلْمَدِينَةِ، فَوَجَد في اسْتِقْبَالِهِ سِي مَسْعُود القسَنْطِينِيّ (مَسْعُود بُوجْرِيّو)، وَمِنْ هُنَاكَ رَافَقَهُ إلى حَيثُ قِيادةُ الثّورَةِ بِالمنْطقَةِ الثانية.

أَضَاءَت الأنْوارُ الْخَضْرَاءُ جَنبَات الرُّكْح، فَظَهَرَ شابٌّ شديدُ الشّبَهِ بقائد الشّمَالِ القَسَنْطِينِي (زيغُود يُوسَف)، فَاسْتُقْبِلَ بِتَصْفِيقٍ حارٍّ، وَبَعْدَ تَوقُّفِ التَّصْفيقِ قَال:

كان زيغُود يُوسَف في مَكَانٍ يُسمّى «بوالزّعْرُورْ» مَعَ أَعْضَاءِ قِيَادَةِ الْمَنْطقَةِ الثَّانِيَةِ، يَسْتَعدُّون لِحُضُورِ اجْتِمَاعِ الصُّومَامِ الّذِي انْعَقَدَ في 20 أوَتْ 1956، فَجَاء مَن يُبَلِّغُهم بِالْتِحَاقِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الطَّلَبَةِ

الْجَامِعِيّينَ بِالثّورةِ، فَاسْتقْبَلُوهُمْ، وَرَحَبُّوا بِهِمْ أَحْسَنَ تَرْحِيبٍ.

وَلَمّا عَلِمَ زيغود بِأَنّ عبْد العالي بَنْ بَعْطوشْ كَانَ مِنْ خِرّيجِي كُلّيّةِ الْحُقوقِ بِالْعَاصِمَةِ كَلّفَهُ أَنْ يُعِدَّ نُصوصاً قانُونِيّةً لِلتَّنْظِيمِ الْجَدِيدِ لِلثّوْرَةِ، الّذي صُودِقَ عَلَيْهِ في مؤتمرِ الصّومام، لِلْعَمَلِ بِهِ فِي كُلّ الْوِلايَاتِ التّارِيخِيَّةِ الّتِي قُسِّمَ إِلَيْهَا التُّرَابُ الْوَطَنِي.

بعْدَ ذلك انْطَفَأَتِ الأضْوَاءُ الْخَضْرَاءُ، وَاخْتَفَى الشّابُّ الْمُتَحَدّثُ عَنِ الأَنْظارِ، وعَادَتْ نورَةُ مَرَّةً أُخْرى، لِتُواصِلَ كَلاَمَها؛ فَقَالَتْ: بَعْدَ اجْتِمَاعِ الصّومَام عُيّنَ عَبْدُ الْعَالي عُضْواً فِي قِيادَةِ الْوِلاَيَةِ الثانية بِرُتْبَةِ (رَائد) مُكَلّفاً بِالشّؤونِ السّيّاسيّة، فَاسْتَطاعَ بِسِيَاسَتِهِ الْحَكِيمَةِ أَنْ يُجنّبَ الْوِلاَيَةَ اَلْخِلاَفَ الّذِي ظَهَرَ فِي بَعْضِ الْوِلاَيَاتِ.

اخْتَفَتْ نُورَةُ، وَبَقِي الْجُمْهُورُ يَنْتَظِرُ مُفاجَأَةً أُخْرى.

وَمَا هِيَ إلاّ لَحَظَاتٌ حَتَّى ظَهَرَتْ فَتَاتَانِ صَغِيرَتَانِ، تَحْمِلُ إِحْدَاهُمَا الْعَلَمَ الْجَزَائِرِيَّ وَتَحْمِلُ زَمِيلَتُها الْعَلَمَ التُّونسِيَّ، وَبَيْنَهُمَا فَتَاةٌ جَمِيلَةٌ تَرْتَدِي مَلابِسَ تَقْلِيدِيّةً أوْرَاسِيَّةً؛ لَهَا ضَفِيرَتَانِ نَاعِمَتَانِ كالْحَرِيرِ.

وَقَفَ الْمُتَفَرِجُونَ، وَصَفَّقُوا طويلاً، وَقَبْلَ أَنْ يَتَوَقَّفَ التَّصْفِيقُ خَرَجَ مِنْ وَرَائِهِنَّ شَابٌّ يُشْبِهُ إلى حدٍّ كبيرٍ الْمُجَاهِدَ عَلِيّ كَافِي، أحدَ قادةِ الثَّوْرَةِ بِالشَّمَالِ الْقَسَنْطِينِيّ فقال: فِي مَطْلَعِ عَامِ 1958 رَافَقَ عَلاّوَةُ بَنْ بَعْطُوشْ عَلِيّ كَافِي فِي مَهَمَّةٍ إلى تُونُسَ، حَامِلَيْنَ مَعَهماَ تَقْرِيراً مُفَصّلاً أعَدَّهُ عَلاّوَةُ بَنْ بَعْطُوشْ (الْمَسْؤُولُ السِيَّاسِيُّ لِلْولاَيَةِ)، وَبَعْدَ أنْ قَدَّمَاه إِلَى قَادَةِ الثَّوْرَةِ السياسيّين بِتُونس،

قَفَلا رَاجِعَيْن إلى الْجَزَائر.

يا لَها منْ رِحلةٍ شَاقَّةٍ! نَظَرًا لِبُعْدِ الْمَسَافَةِ التّي قطعاها رَاجِلَيْن، وَلِلْحِصَار الذي ضَرَبَهُ الْعَدُوُّ على الْجَزَائر بِأَسْلاَكٍ شَائِكَةٍ مُكَهربَةٍ، مَزْرُوع مَا حَوْلَهَا بِالْأَلْغَام؛ بِالإضافة إلى الْحِرَاسَة الْمُشدَّدة. عِنْدَمَا كَانَتْ كَتَائِبُ جَيْشِ التَّحْرِير تُحَاوِلُ عُبُورَ الأَسْلاَكِ تَجِدُ أَمَامَها حَواجِزَ الْمُرَاقَبَةِ الْمَنْصُوبَةِ عَلَى الدَّوَام، وَعِنْدَمَا يَكتَشِفُ العَدُّوُ الْعَابِرِينَ يَسْتَعْمِلُ كُلَّ وَسَائِلِ الْمَعْرَكَةِ مِنْ دَبَّابَاتٍ وَطائرَاتٍ وَقَنَابِلَ مُضِيئةٍ كَاشِفَــة.

عِنْدَمَا وَصَلَتِ الْمَجْمُوعَة الّتِي كانَتْ ترافِقُهما إِلَى مكانٍ يُسمّى «بُوضَرْوة» بِهِ خَنْدَقٌ حُفِر تَحْتَ الأَسْلاكِ الشَّائكَة، عَبَرَ الدَّلِيلُ الذي كَانَ يُرَافِقُ الْمَجْمُوعَةَ الخطَّ أَوّلاً؛ وَلَمَّا جَاءَ دَوْرُ عَلاَّوَة ذِي الْقَامَةِ الطَّوِيلَةِ والجَسَدِ الضّخْم، سَمِعَ صَوْتَ آلِيَةٍ

عَسْكريّةٍ، فَرَفَعَ جِسْمَهُ قَليلاً عَن الأرض قَبْلَ اجْتِيازِ الأَسْلاَكِ، وَمَا إنْ لَمَسَ السِّلْكَ حَتّى تَفَحّم جَسَدُه في ثَوَانٍ قَلِيلَةٍ؛ إنّهَ مَشْهَدٌ مُرَوّعٌ حَقًّا.

كَان ذَلِكَ في شَهْرِ مَارِس 1959.

اخْتَفَى الشَّابُّ عَنِ الأَنْظَارِ، وَحَلّ مَحَلّه شَابٌّ آخَرُ يَحْمِلُ في يَدِه أَوْرَاقاً، فَاقْتَرَبَ مِنَ الْمَنَصَّةِ، وَشَرَعَ فِي قِرَاءَةِ مَا جَمَعَهُ مِنْ شَهَادَاتٍ حَوْلَ سِيرَةِ علاوة بَنْ بَعْطُوش، فَقَالَ: هَذِه شَهَادَةُ قائِدِه: «لِهَذَا الرَّجُلِ مُسْتَقْبَلٌ وَاعِدٌ، لأنّه يَتَمتّعُ بِرُوحٍ وَطنيّةٍ عَالِيةٍ، وَكَفَاءَةٍ مِثَالية».

وهذه شَهَادَة قائدٍ آخرَ: «عَلاّوةُ ذو أخلاقٍ طَيّبةٍ استحْسَنَها جَميعُ من عَرَفهُ مِنَ الجنودِ، لِذَلك أحبّوهُ، وبأَمْثَالِهِ أحْرَزْنا النَّصْرَ عَلَى الأَعْدَاء....»

وَكَانَتْ نِهَايَةً رَائِعَةً لِعَرْضٍ شيّقٍ تَجَاوَبَ مَعَهُ الْمُتَفَرّجُون! وَالأَرْوَعُ فِي كُلِّ ذَلِكَ أَنْ يَتَفتَّحَ الشَّبَابُ عَلَى أَحْدَاثِ الثَّوْرَةِ الْعَظِيمَةِ لِمُحَارَبَةِ نِسْيَانِ أَمْجادِ الْجَزَائِر.

أمّا أَعْضَاءُ الجَمْعيّةِ فَقَدْ غَمَرَتْهُمُ الْفَرْحَةُ، بعد أن حَصَدُوا الْجَائِزَةَ الأُولَى بِهَذَا النَّشَاطِ الْمَسْرَحِي.

الْمَجْدُ وَالْخُلُودُ لِشُهَدَائِنَا الأَبْرَارْ